مجلة
كليات المعلمين
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن وكالة وزارة التعليم العالي لكليات المعلمين

الفهم الجمالي للتركيب اللغوي
دراسة في الكشاف للزمخشري

***

الدكتور
السيد علي خضر
أستاذ النحو والصرف المشارك
بكلية المعلمين بالرياض وكلية التربية – جامعة المنصورة

المجلد الأول العدد الأول صفر ١٤٢٨ – مارس ٢٠٠٧م

ملخص البحث

ثمة مستويان لتعامل النحوي مع اللغة ، فهو إما أن يحاول وضع القواعد النحوية الضابطة لتراكيب اللغة ، وفي هذه الحالة يقوم عمله على نصوص قائمة بالفعل ، أو يبني هو النص أو المثال ليأخذ منه القاعدة المطردة في التراكيب المشابهة .. وإما أن يتجاوز النحوي هذه المهمة إلى مرحلة أعلى من العمل النحوي حين يحاول تفسير نصوص قائمة بالفعل ، لا ليأخذ منها قاعدة نحوية ، بل ليفسرَ تلك النصوص مستخدماً النحو كأساس ونقطة انطلاق لتفسير الدلالة .

العمل الأول عمل قواعدي معياري بالدرجة الأولى ، والعمل الثاني عمل تفسيري دلالي منطلق من النحو مع اعتماده على معطيات الاتجاه الأول ، وهو كذلك عمل ذو مستويات متعددة تخضع لخبرة النحوي المفسِّر باللغة والنحو ، ونظرته إلى النحو ودوره في الدرس اللغوي ومنهجه في الدرس وتتعانق فيه الخبرة العميقة بالنحو ومكونات السياق الأخرى .

والزمخشري العالم اللغوي يجمع بين الطريقتين ، فهو مؤلف نحوي له كتب معروفة في النحو التعليمي المعياري ، وهو كذلك مفسر لغوي له تفسير للقرآن الكريم ، وهو في عمله التفسيري لغوي متمرس ذواقة للبيان الجميل ، يبحث عما وراء ظاهر النص من الدلالات الكامنة في التركيب ليجلّي للقارئ بعض جماليات التركيب اللغوي القرآني ، وهو كذلك غير مسبوق في كثير من نظراته الدقيقة التي قدمها في الكشاف .

وتلك النظرات الجمالية الدقيقة كانت نتيجة التعامل مع " نص " قائم بالفعل ، لا لتؤخذَ منه قاعدة نحوية ، ولكن ليبيَّنَ موطنُ الجمال وسرُّ التعبير في ذلك التركيب .

وليست هذه الدراسة عملاً مَسْحياً شاملاً للكشاف ، لكنها محاولة لتتبع بعض مواطن التـذوق والفهم الجمالي للنص القرآني فيه ، وذلك لبيان أن هناك عطاءً أكبر في مجال النحو لا يُتاح عادة في النحو التعليمي المدرسي القائم على المعيارية ، إن هناك مجالات أكثرَ رحابةً للنحو حين يتعامل مع النصوص فيتاح له التوسع في التحليل واستخراج مواطن الجمال .. وهو مـا نجـده واضـحاً في الكشاف .

والهدف الأساس من هذه الدراسة توجيه الأنظار إلى هذا اللون من التحليل الجمالي للنص ، إذ هو مفتقَد عادةً في دراساتنا للنحو في المدارس والجامعات ، والله الموفق .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد:

فإن ثمة مستويين متمايزين لتعامل النّحوي مع اللغة، فهو إما أن يحاول وضع القواعد النّحوية الحاكمة لتراكيب اللغة، وفي هذه الحالة يقوم عمله على نصوص قائمة بالفعل، أو يبني هو النّص أو المثال ليأخذ منه القاعدة المطردة في التّراكيب المشابهة.. وإما أن يتجاوز النّحوي هذه المهمة إلى مرحلة أعلى من العمل النّحوي حين يحاول تفسير نصوص قائمة بالفعل، لا ليأخذ منها قاعدة نحوية، بل ليفسر تلك النّصوص مستخدماً النّحو كأساس ونقطة انطلاق لتفسير الدلالة.

العمل الأول عمل قواعدي معياري بالدرجة الأولى، والعمل الثاني عمل تفسيري دلالي منطلق من النّحو مع اعتماده على معطيات الاتجاه الأول، وهو كذلك عمل ذو مستويات متعددة تخضع لخبرة النّحوي المفسِّر باللغة والنحو، ونظرته إلى النّحو ودوره في الدرس اللغوي ومنهجه في الدرس وتتعانق فيه الخبرة العميقة بالنحو ومكونات السّياق الأخرى.

والزمخشري عالم لغوي يجمع بين الطّريقتين، فهو مؤلف نحوي له كتب معروفة في النّحو التّعليمي المعياري أهمها المفصل، وهو كذلك مفسر لغوي له تفسير للقرآن الكريم جعل منطلقه الأساس فيه المداخل اللغوية والنحوية للنص القرآني، وهو في عمله التّفسيري لغوي متمرس ذواقة للبيان الجميل، يبحث عما وراء ظاهر النّص من

الدلالات الكامنة في التّركيب ليجلّي للقارئ بعض جماليات التّركيب اللغوي القــرآني، وهو كذلك غير مسبوق في كثير من نظراته الدقيقة التي قدمها في الكشاف.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن تلك النّظرات الجمالية الدقيقة كانت نتيجة التّعامل مــع «نص» قائم بالفعل، لا لتؤخذَ منه قاعدة نحوية، ولكن ليبيَّنَ موطنُ الجمال وسرُّ التّعــبير في ذلك التّركيب[1]، وفي كثير من المواضع كان الزّمخشري يتجاوز حدود الجملــة إلى السّياق كله ليفسر التّركيب اللغوي، وهو بذلك قريب مما صار يعرف اليوم بنحو النّص في الدرس اللغوي الحديث.

الهدف من هذه الدراسة:

ليست هذه الدراسة عملاً مَسْحياً شاملاً للكشاف، لكنها محاولة لتتبع بعض مــواطن التّذوق والفهم الجمالي للنص القرآني في الكشاف، وذلك لبيان أن هناك عطاءً أكبر في مجال النّحو لا يُتاح عادة في النّحو التّعليمي المدرسي القائم على المعياريــة، إن هنــاك مجالات أرحب للنحو حين يتعامل مع النّصوص فيتاح له التّوسع في التّحليل واستخراج مواطن الجمال من التّراكيب، وهو ما نجده واضحاً في الكشاف، ونحاول مــن خــلال ذلك توجيه الأنظار إلى هذا اللون من التّحليل الجمالي للنص، إذ هو مفتقَــد عــادة في

(١) يقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف :" ومن الواضح أنه كلما كان الباحث قريباً من النّصوص اللغوية متعاملاً معها تجلت له غاية النّحو الحقيقية ، ولذلك لا محيدَ عن العودة إلى النّصوص ، فإن العمل من خلالها يفتح آفاقاً كثيرة مفيدة " انظر كتابه : النّحو والدلالة : ٣٤ ، ط دار الشروق ، القاهرة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دراساتنا للنحو في الجامعات، وفي هذه الدراسة ما يقارب تسعين شاهداً قرآنياً جمعتـــها من الكشاف لبيان ذلك، والله الموفق.

التمهـــيد

مصطلح ((الجمال)) في الدرس اللغوي

إن الله عز وجل ((جميلٌ يحبُّ الجمالَ))[1] وكل ما يصدر عنه إذن جميـــل، وكلامـــه - القرآن - صفته، وصفة القديم قديمة غير مخلوقة، وصفة الجميل الحق كـــذلك لابـــد أن تكون جميلة، ومن هنا بحث العلماء منذ القدم عن معالم الجمال في القـــرآن، وكانـــت لغته أول مَعين لهذا البحث الجمالي في القرآن الكريم.

ومصطلح الجمال مصطلح متداول في مجالات متنوعة كالفلسفة والفنون، وكذلك في اللغة والنقد الأدبي والبلاغة، والمراد به في اللغة والبلاغة بحث مواطن الجمال والحسن في النّص الفني ذي البلاغة الخاصة، يقول الدكتور إحسان عباس عن جهد عبد القـــاهر في ((أسرار البلاغة)): وهذا الكتاب الثاني - أي أسرار البلاغة - ربما كان أدق كتاب باللغة العربية في الحديث عن ضروب البيان، وفيه من التّفسيرات الجمالية ما يدل علـــى ذوق نقدي أصيل، وربما كان عيب الكتب التي اعتمدت عليه في البلاغة من بعد أنها جردتـــه من تلك المسحة الجمالية، وجعلت قواعده أحكاماً صارمة ليس فيها إحـــساس النّاقـــد الأصيل، ولا قوة التّعليل الذوقي أو الفكري))[2]

---

(١) طرف من حديث صحيح رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود : ٨٩/٢ ، ط الحلبي ، القاهرة د .ت ، والترمذي في سننه ٤ / ٣٦١ ح (١٩٩٩) ط دار الحديث القاهرة د . ت .

(٢) د/ إحسان عباس : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب :٤٢٩، ط٢ دار الشروق ، عمان ، الأردن ١٩٩٢م .

ولا يغيب عنا هاهنا أن الزّمخشري استقى أصول نظراته النّحوية من أعمال عبد القاهر، وبخاصة نظرية النّظم التي فصلها في دلائل الإعجاز ، قال الدكتور شوقي ضيف عن الزّمخشري:«فأقبل على الدراسات البلاغية يعبُّ منها وينهلُ، و لم يلبث أن وجد خير مورد له كتابات عبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، فدرسها حتى تمثّلها تمثُّلاً منقطعَ النّظير»(١)

وقد وصف كثير من المعاصرين نظرية عبد القاهر بصفة الجمال كذلك ، أي الجمال اللغوي ، ولسنا هنا في مجال حصر ذلك ، بل غرضنا بيان أن المصطلح «الجمال» في المجال اللغوي والبلاغي متداول بين المعاصرين لوصف كل درس لغوي يتسم بطابع التّحليل المتعمق المتدبر للنص المستخرج لنظامه النّحوي وأسراره الدلالية... قال الدكتور عز الدين إسماعيل: «ولو تذكرنا موقف عبد القاهر الجرجاني في تحليل الجملة لا على أساس القاعدة النّحوية، ولكن على أساس الحالة الانفعالية، وأنه ليست كل جملة مستقيمة نحوياً جيدة، بل قد تكون مستقيمة نحوياً وقبيحة، وأن تفاضل الجمل يرجع إلى نظام الألفاظ في كل ذلك النّظام الذي يتحكم فيه الانفعال لو تذكرنا ذلك لعرفنا أي نظرة جمالية عميقة كان ينظرها الرّجل، والنتائج التي انتهى إليها الجرجاني في دراسته لجمالية العبارة وصلتها بالمعاني النّحوية هي بعينها ما انتهى إليه فندريس..»(٢)

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ : د/ شوقي ضيف :٢٢٠ ، ط ٩، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٥م .

(٢) الأسس الجمالية في النّقد العربي : د/ عز الدين إسماعيل : ٣٣٦ ، دار الفكر العربي ، القاهرة د .ت .

ويستعمل الدكتور مصطفى الجويني مصطلح ((الجمال)) كذلك صدد حديثه عن عبد القاهر، ومن ذلك:

١ – في تعليقه على قول عبد القاهر:((إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النّفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النّطق)) قال: وبذلك حوّل – يعني عبد القاهر – المزية الجمالية من حيز اللفظ – كما هو الحال عند ابن سنان – إلى حيز المعاني))[١]

٢ – وقال أيضاً:((وبعد إذ أسرف – يعني عبد القاهر – في المنافحة عن نظريته تلك بيّن أنه لنسيرَ على بينة في بحث جمالي ما فلابد من وضع اليد على الخصائص الجمالية لنظم الكلم))[٢]

إن المبدع حين يصوغ إبداعه يحتاج كذلك إلى مبدع آخر يفسر ذلك الإبداع للناس، ولهذا تكثر الدراسات حول الشّعر والأدب، ولعل هذا يذكّرنا بالعلاقة الحميمة بين المتنبي وصديقه ابن جني الذي قرأ عليه شعره وناقشه في مسائله وشرحه شرحاً مفصلاً، وكلاهما مبدع في عمله[٣]وفي هذا الصدد نذكر قول الدكتور مصطفى ناصف:((النّحو

(١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن : د/ مصطفى الصاوي الجويني : ٢١٢ ، ط٢ ، دار المعارف ١٩٦٨م .

(٢) نفسه : ٢١٢ .

(٣) انظر : د / إحسان عباس : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب : ٢٧٨ وما بعدها .

ليس موضوعاً يحفل به المشتغلون بالمثل اللغوية والذين يرون إقامة الحدود بين الصواب والخطأ أو يرون الصواب رأياً واحداً، النّحو مشغلة الفنانين والشعراء، والشعراء أو الفنانون هم الذين يفهمون النّحو أو هم الذين يبدعون النّحو، فالنحو إبداع، وقضية الإبداع في النّحو كانت غريبة إلى حد ما على أذهان الباحثين قبل عبد القاهر»[1].

والزمخشري في لفتاته الجمالية متفرّد بها لم ينقلها عن سابق له، وقد راجعت كثيراً من تفاسير القرآن وأعاريبه قبله فوجدت مصداق ذلك، لقد استطاع الزّمخشري كما يقول الدكتور شوقي ضيف: «أن يقدم في الكشاف صورة رائعة لتفسير القرآن، تعينه في ذلك بصيرة نافذة.. كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياساً دقيقاً وما يُطوى فيه من كمال وجلال، وهو من هذه النّاحية ليس له قرين سابق ولا لاحق في تاريخ التّفسير»[2].

وقال الدكتور عبد العزيز حمودة في تعليقه على بيت أورده عبد القاهر في الدلائل وأطال الحديث عن حذف المفعول به في البيت.. قال:«إن تلك السّطور الطّويلة لم يكتبها عبد القاهر في تحليل بيت من الشّعر، بل في تحليل الوظيفة الجمالية والدلالية التي أداها حذف كلمة واحدة في البيت وهي المفعول به في «حزن إلى العظم»[3].

---

(١) النّحو والشعر – قراءة في دلائل الإعجاز : د/ مصطفى ناصف : ٣٦، مجلة فصول، مج:١، ع:٣ أبريل١٩٨١م.

(٢) د/ شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ :٢١٩-٢٢٠.

(٣) د / عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة : ٣٦٧ ، سلسلة عالم المعرفة (٢٧٢) الكويت أغسطس ٢٠٠١ م ،

=

رأينا إذاً أن مصطلح «الجمال» بالمفهوم الذي نريده في هذه الدراسة مستعمل في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة، مما يسوغ لنا استعماله بهذا المفهوم كذلك في هذه الدراسة.

***

من مواضع الفهم الجمالي للتركيب اللغوي في الكشاف

نعرض في هذا المقام لمواضع مختارة من الكشاف يتضح فيها ذلك البحث عن القيم الجمالية الكامنة في التّركيب اللغوي، ولا شك أنها غير منحصرة فيما قال الزّمخشري، فالقرآن له آفاق من الفهم لا تنتهي عند حد، ولهذا يتفاوت النّاس في فهمه وتأويله تفاوتاً كبيراً، ثمة مواضع كثيرة في الكشاف تجمعت لدينا من هذا اللون، ولكنّا لضيق المقام نختار منها بعض المباحث مشفوعة بإضاءات تفسيرية ممهدة أو كاشفة قدر الوسع[1].

ونختار المباحث الآتية للدراسة:

١- التّقديم والتأخير

٢- الحذف

=

وسيأتي الكلام على البيت المذكور.

(١) لن نتوسع في المباحث النّظرية إلا بقدر البيان الموجز للمصطلح، لأن الدراسة في الأصل تطبيقية.

٣- في دلالة الحركة الإعرابية على المعنى

٤- من مباحث الفعل

٥- التّعبير الاسمي والفعلي

٦- الإفراد والتثنية والجمع

٧- التّوكـــيد

***

١- التّقــديم والتأخــير:

التقديم والتأخير مجال إبداع المبدعين من شعراء وناثرين، وهو مجال خصب لبلاغـــة القول تتفاوت فيه القرائح، والشعر يعتمد أساساً في جماله على الأوزان والقوافي في بناء هيكل القصيدة ثم على التّقديم والتأخير مع صور بيانية أخرى كالمجاز والاستعارة، وعن أهمية التّقديم والتأخير يقول عبد القاهر:((هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاســن، واســع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تــزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سـبب أنْ راقـــك ولطُف عندك أن قُدّم فيه شيءٌ، وحُوّل اللفظ عن مكـــان إلى مكان ...))[(١)]

والحقيقة أن التّقديم والتأخير كثيراً ما يرتبطان بالمستويات العليا من الكـــلام وبحالـــة المتكلم أو الكاتب النّفسية والفكرية، ومما يقرره اللغويون المحدثون أن ((مخالفـــة النّظـــام

(١) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ٨٣ ، دار المعرفة ، لبنان ١٤٠٤هـــ- ١٩٨٤م .

المألوف في ترتيب الكلمات قد يقع في الأساليب التي تشبه الشّعر الموزون، كبعض الخطب العنيفة الحماسية، وفي كل أسلوب انفعالي عاطفي كالذي يكون في الحوار والمحاجة»[1].

والتقديم والتأخير عند العرب مرتبطان بفن القول، أي بالكلام ذي الطّبيعة الفنية كالشعر والنثر الفني في ألوانه المتعددة، والضابط للتقديم والتأخير عندهم هو الإعراب الذي يحفظ لكل لفظ موقعه في بناء الجملة سواء ورد مقدماً أم مؤخراً، وفي جملة «ضرب عبدُ الله زيداً» يقول سيبويه:«فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبدُ الله، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدماً، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعْنَى، وإن كانا جميعاً يُهمانهم ويعنيانهم»[2].

إن مخالفة التّرتيب المألوف للكلام تثير انتباه المتلقي، وتصرف الفكر والاهتمام إلى ذلك المقدم، والقرآن نازل بلغة العرب وعلى مذاهبهم وسننهم في استعمال لغتهم، وقد ورد فيه التّقديم والتأخير كثيراً، وصرفه النّحاة والبلاغيون عادة إلى الاهتمام

(١) من أسرار اللغة : د/ إبراهيم أنيس :٣٤١ ، ط ٦ مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٧٨م .

(٢) كتاب سيبويه ، بتحقيق عبد السّلام هارون : ١/ ٣٤، ط ٣ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

والاختصاص، قال عبد القاهر: ((اعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه - أي التّقديم والتأخير - شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ... ثم ذكر قول سيبويه المتقدم))[1].

وليس التّقديم والتأخير عملية لفظية للتلاعب بالكلام، إنه عملية لفظية دلالية في آنٍ معاً، فمتى تقدم لفظ كان حقه التّأخير أو تأخر وحقه التّقديم وصدر ذلك ممن يُعرف عنه الاجتهاد في صياغة البيان، أمكن تحليل الكلام لمعرفة الجمال الفني الذي يحدثه ذلك المبدع بالتقديم والتأخير.

ويمكن أن نقسم التّقديم والتأخير في العربية إلى نوعين:

النوع الأول: المرتبط بالنحو:

وهذا النّوع مبني على تصور وجود ترتيب مألوف شبه مطرد للوحدات النّحوية في الجملة العربية، كتقدم الفعل ثم الفاعل ثم المفعول، أو المبتدأ ثم الخبر، أو صاحب الحال ثم الحال... ولكن إذا خولف هذا التّرتيب في بعض السّياقات بحث النّحاة والبلاغيون هذا التّقديم والتأخير لبيان موطن الجمال فيه.

ومن هذا اللون في الكشاف:

أ – تقديم المفعول به:

---

(١) دلائل الإعجاز : ٨٤ .

١- في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾(آل عمران: ٨٣) قال الزّمخشري:«وقُدم المفعول الذي هو «غيرَ دين الله» على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل»[١]

٢ - في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ (الأنعام:١٤) قال: «أَوْلَى «غيرَ الله» همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو «أتخذ» لأن الإنكار في اتخاذ غـير الله وليـاً، لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم»[٢]

وقال عبد القاهر في الآية السّابقة وفي قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ (الأنعام:٤٠) قال: «وكان له – أي تقديم المفعول – من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنه لا يكون لو أُخِّر فقيل: قل أأتخذ غير الله وليـاً، و: أتدعون غير الله، وذلك لأنه حصل بالتقديم معنى قولك: أيكون غـيرُ الله بمثابـة أن يُتخذ ولياً؟ و: أيرضى عاقلٌ من نفسه أن يفعلَ ذلك؟ و: أيكون جهلٌ أجهلَ وعمـى أعمى من ذلك؟ ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل: أأتخذ غير الله وليا؟ وذلك لأنه[٣] ينئذ يتناول الفعل أن يكون فقـط ولا يزيد على ذلك فاعـرفه»[٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري :١/ ٣٨٠، ط٣ دار الرّيان للتراث ، القاهرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٢) الكشاف : ٢/ ٩ .

(٣) يعني الإنكار المتضمن في الاستفهام .

(٤) دلائل الإعجاز : ٩٠ .

٣- في قوله تعالى ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ (إبراهيم:٤٧) قال الزّمخشري:((فإن قلت: هلا قيل: مخلف رسله وعده؟ و لم قدم المفعول الثاني على الأول؟ قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد ﴾ (آل عمران: ٩) ثم قال ((رسله)) ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً - وليس من شأنه إخلاف المواعيد - فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته؟))[١]

قلت: تقديم المفعول ((رسله)) قد يفهم منه أن الله تعالى لا يخلف الوعد للرسل فحسب، ولكن السّياق الذي وردت عليه هذه الآية يوحي بأنه لا يخلف الوعد للرسل ولغير الرّسل كذلك، لأن شأنه سبحانه أنه لا يخلف الوعد مطلقاً.

٤ - في قوله تعالى ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُون ﴾ (الصافات: ٨٦) قال:((قُدم المفعول على الفعل للعناية، وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم..))[٢]

قلت: وللفاصلة أثرها الصوتي الذي لا ينكر كذلك في هذا السّياق، حيث أخر الفعل المرفوع المسند إلى واو الجماعة، ليوافق الفواصل النّونية السّابقة واللاحقة فيحدث الأثر الصوتي الجميل المعهود للفاصلة القرآنية، ولكن الزّمخشري الذي التّزم نظرية النّظم متابعاً عبد القاهر لم يولِ أهمية لإيقاع الألفاظ في القرآن، بل إن عبد القاهر رغم مكانته

(١) الكشاف : ٢/ ٥٦٦ .
(٢) الكشاف : ٤/ ٤٩ .

الكبيرة قد أفرط - فيما أحسب - وهو بصدد تأسيس نظرية الـنّظم في إنكـار دور المؤثرات الإيقاعية في تركيب الجملة ومن ثم توصيل الدلالة، كما يقول الدكتور محمـد حماسة عبد اللطيف:((إن عبد القاهر الجرجاني مثلاً أغفل دور الوزن والقافيـة إغفـالاً متعمداً في صدد حديثه عن النّظم، وهو جانب من جوانب التّفاعل الضّرورية في اختيار وجه من وجوه النّظم، فالصورة الصوتية المنطوقة تحكمها في العمق أبنية أخرى صـرفية ونحـوية ووزنية معينة في الشّعر))[1]هذا مع أن سيبويه قد أحس منذ القدم بأن لفواصل الكلام وقوافيه خصوصية ليست لغيره، ولذا قال:((وجميع ما لا يحذف في الكلام ومـا يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي))[2]فلماذا لا نعد الإيقاع عنـصراً أو مكوناً من مكونات السّياق؟ ولماذا ننكر دوره وأثره الكبير في توصيل المعنى؟[3].

ب – تقديم الخبر على المبتدأ:

١ – في قوله تعالى ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ (الحشر:٢) قال:((فإن قلت: أي فرق بين قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النّظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثـوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسماً لأن وإسناد الجملة إليه دليـل علـى

(١) الجملة في الشعر العربي: د/ محمد حماسة عبد اللطيف: ١٢١، ط١ مكتبة الخانجي القاهرة١٤١٠هـ – ١٩٩٠م

(٢) كتاب سيبويه : ١٨٤/٤– ١٨٥ .

(٣) انظر: الفواصل القرآنية، دراسة بلاغية، مبحث الإيقاع اللفظي،ط مكتبة الإيمان بالمنصورة١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

اعتقادهم في أنفسهم أهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازّهم، وليس ذلك في قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم»[1]

قلت: نزلت هذه الآية في قصة إخراج بني النّضير من المدينة بعد نقضهم العهود مع رسول الله ﷺ والمسلمين، وقد كانوا تحصنوا في حصون قوية لكنها لم تفلح في حمايتهم بعد أن قذف الله في قلوبهم الرّعب[2]

٢ – في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (مريم:٤٦) قال:«وقُدم الخبر على المبتدأ في (أراغب أنت) لأنه كان أهم عنده، وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التّعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوانٌ وثلجٌ لصدر رسول الله ﷺ عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه»[3]

قلت: ما ذكره الزّمخشري من كون الخبر مقدماً في هذا الموضع والذي قبله هو أحد وجهي الإعراب، وفيهما وجه آخر هو كون «حصون وأنت» فاعلَيْن لاسمي الفاعلين «مانع وراغب» لأن اسمي الفاعلين هنا يعملان عمل فعليهما.

(١) الكشاف : ٤/ ٤٩٩.
(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٤/ ٤٢٢ ط مؤسسة الرّيان ، لبنان د . ت .
(٣) نفسه : ٣/ ٢٠ .

٣ – في قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (الحجرات:٧) قال:«فإن قلت: ما فائدة تقديم خبر إن على اسمها؟ قلت: القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي الرّسول ﷺ لآرائهم، فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه»[1].

قلت: وتتبين مزية هذا النّظم إذا تصورنا بناء الجملة على الأصل «أن رسول الله فيكم» فهذا مجرد إخبار بشيء معلوم لديهم، ولكن هذا التّقديم أفاد معنى جديداً، وهو أن مجرد وجود الرّسول فيهم كاف لاتباع أمره، ففيه إذن معنيان: الإخبار بواقع وجوده فيهم – وهو تعريض دقيق – وكون وجوده فيهم كافياً لطاعته وعدم تقديم قولهم على قوله.

ج – تقديم المبتدأ النّكرة:

في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ﴾ (الأنعام: ٢) قال:«فإن قلت: المبتدأ النّكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره، فلمَ جاز تقديمه في قوله (وأجل مسمى عنده؟) قلت: لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ (البقرة:٢٢١) فإن قلت: الكلام السّائر أن يقال: عندي ثوب جديد، ولي عبد كيّس، وما أشبه ذلك، فما أوجب التّقديم؟ قلت: أوجبه

(١) نفسه : ٤/ ٣٦١ .

المعنى، أي: وأجل مسمى عنده تعظيماً لشأن السّاعة، فلما جرى هذا المعنى وجب التّقديم»[1]

د – تقديم الجار والمجرور:

١ – في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين ﴾ (البقرة:٢) قال:«فإن قلت: فهلا قدم الظّرف على الرّيب كما قدم على الغول في قوله تعالى ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ (الصافات:٤٧)؟ قلت: لأن القصد في إيلاء الرّيب حرفَ النّفي نفيُ الرّيب عنه، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدّعونه، ولو أولى الظّرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد، وهو أن كتاباً آخر فيه الرّيب لا فيه، كما قصد في «لا فيها غول» تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا»[2]

قلت: في هذا النّص وُضع الجار والمجرور في مكانه الأصلي في آية البقرة وقُدم في آية الصافات، وقد ظهرت بلاغة التّقديم والتأخير في كل منهما بما قال الزّمخشري، وتقديم الجار والمجرور كثير في القرآن الكريم خاصة في فواصل الآيات لإحداث إيقاع الفاصلة مع وجود داع بلاغي للتقديم والتأخير في كل سياق، وقد حققناه في موضع آخر

---

(١) نفسه : ٢/ ٤ – ٥ .

(٢) نفسه : ١/ ٣٤ ، ويسمي الزمخشري الجار والمجرور " فيه " ظرفاً على عادة بعض النّحاة من التّجوز في المصطلح أحياناً ولتضمن في معنى الظرفية ولأن الجار والمجرور قريبان من الظرف ، وهما معاً يدخلان تحت مصطلح شبه الجملة .

فوجدناه فيما يقرب من ألف فاصلة قُدِّم فيها الجار والمجرور من مجموع (٦٢٣٦) هـي مجموع آي القرآن الكريم.

٢ – في قوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الرّوم: ٢٧) قال:«فإن قلت: لم أُخّرت الصلة في قوله (وهو أهون عليه) وقُدّمت في قوله ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ (مريم:٩)؟ قلت: هناك – يعني في آية مريم – قُصد الاختصاص وهو محزّه فقيل: هو عليَّ هين وإن كان مستصعباً عندكم.. وأما ها هنا – في آية الرّوم – فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء؟ فلو قدمت الصلة لتغير المعنى»[1]

٣ – في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (ق:٤٤) قال:«تقديم الظّرف – يعني الجار والمجرور – يدل على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن»[2]قلت: تقديم الجار والمجرور هنا فصل بين النّعت والمنعوت، وهو مراعى فيه أمر الفاصلة الرّائية المسبوقة بساكن في الآيتين (٤٣ – ٤٤) من السّورة (المصير – يسير).

هـ – تقديم الظّرف:

---

(١) نفسه : ٣/ ٤٧٦ .

(٢) نفسه : ٤/ ٣٩٣ .

في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ (النـــور: ١٦) قال:«فإن قلت: كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم؟ قلت: للظروف شأن وهو تترلها من الأشياء مترلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها، فلذلك يُتسع فيها ما لا يتسع في غيرها، فإن قلت: فأي فائدة في تقديم الظّرف حتى أوقع فاصلاً؟ قلت: الفائدة بيان أنـــه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التّكلم به، فلما كـــان ذكـــر الوقت أهم وجب التّقديم»[1].

قلت: كأنه يرى أن الأصل: ولولا قلتم... إذ سمعتموه، ولولا هنا حرف يفيد التّوبيخ على أمر حدث بالفعل، وإذ ظرف بمعنى حين، ولكنه في الآية مقدم عن موضعه.

و – تقديم النّعت على منعوته النّكرة:

ذكر النّحاة أن النّعت إذا قُدم على منعوته النّكرة صار حـــالاً، واستـــشهدوا بقـــول الشّاعر:

لميةَ موحشاً طلـــلُ يلوحُ كأنه خِلَـــلُ[2]وقد عد الزّمخشري من ذلك قولـــه تعـــالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون ﴾ (الأنبياء: ٣١) قال:«فإن قلت: الفجاج في

---

(١) نفسه : ٣/ ٢٢٠ .

(٢) انظر : أوضح المسالك لابن هشام : ٢/ ٢٧١ ، المكتبة العصرية – لبنان ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، والبيت نسبه النّحاة إلى كثيّر عزة ، والطلل : ما بقي من آثار الديار ، والخلل : جمع خِلة وهي بطانة تغشّى بها أجفان السّيوف ، والشاهد فيه تقديم النّعت " موحشاً " على المنعوت " طلل " فصار حالاً .

معنى الوصف، فما لها قدمت على السّبل و لم تؤخر في قوله تعالى ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ (نوح: ٢٠)؟ قلت: لم تقدم وهي صفة، ولكن جُعلت حالاً كقوله:

لعزةَ موحشاً طللٌ قديمُ

فإن قلت: ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟ قلت: أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة، والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة، فهو بيان لما أبهم ثمة»[1]

النوع الثاني من التّقديم:

هذا النّوع من التّقديم لا يرتبط بترتيب الوحدات النّحوية المعتاد في الجملة العربية، بل هو تقديم دلالي مرتبط بدلالة الآية، إن ترتيب ورود السّماء والأرض على سبيل المثال، أو الليل والنهار، أو ضد ذلك، في آية أو تركيب ليس خروجاً على أصل لغوي مقرر أو مطرد كالذي في تقديم المفعول على الفعل والفاعل أو الخبر على المبتدأ، إذ ليس هناك من جهة اللغة ما يوجب تقديم شيء من ذلك أو تأخيره، وإنما هي حاجة السّياق إلى تقديم الأرض مرة والسماء أخرى.. وهكذا في كل موضع، ومن ذلك في الكشاف:

١ - في قوله ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون ﴾ (النحل: ٦) قال:«فإن قلت: لم قُدمت الإراحة على التّسريح؟ قلت: لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضّروع»[2]

---

(١) الكشاف : ٣/ ١١٤ والبيت لكثير ، وعجزه : عفاه كل أسحم مستديم .

(٢) نفسه : ٢/ ٥٩٤ .

قلت: ولأن الرّواح أحب إليهم من السّروح لما فيه من الرّاحة والرجوع إلى الأهــل والملاذ.. فقُدم ما هو أحب إليهم.

٢ – في قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ (الأنبيـاء: ٧٩) قال:«فإن قلت: لم قدمت الجبال على الطّير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجـب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنها جمـاد والطـير حيـوان، إلا أنـه غـير ناطـق»[1]

٣ – في قوله تعـالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وقوله ﴿ الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾(النور: ٢– ٣) قال:«فإن قلت: كيف قُـدمت الزّانية على الزّاني أولاً ثم قدم عليها ثانيا؟ قلت: سيقت تلك الآية لعقوبتهما علـى مـا جنـيا، والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية، لأنها لو لم تُطمع الرّجل و لم تُومض له و لم تمكنه لم يطمع و لم يتمكن، فلـما كانت أصلاً وأولاً في ذلـك بُـدئ بـذكرها، وأمـا الثانية فمسوقة لذكـر النّكاح والرجل أصـل فيـه؛ لأنـه هـو الرّاغـب والخـاطب، ومنه يبدأ الطّـلب»[2].

***

٢– الحـذف:

---

(١) نفسه : ٣/ ١٢٩ .

(٢) نفسه : ٣/ ٢١٢ .

أشار سيبويه إلى وقوع الحذف كثيراً في العربية بقوله:((اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشّيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً))[1] وجعل ابن جني الحذف من باب ((شجاعة العربية)) وعقد له عنواناً بهذا الاسم، وقال عنه:((قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته))[2] وبين عبد القاهر قيمة الحذف بقوله: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة...))[3].

والحذف مسألة سياقية، فكل ما فهم من السّياق جاز حذفه بشرط أمن اللبس كما قال النّحاة، وقرائن السّياق من العوامل المساعدة على ذلك، وفي قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود: ٨٨) قال الزّمخشري:((فإن قلت: أين جواب أرأيتم، وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح وصالح؟ قلت جوابه محذوف، وإنما لم يثبت لأن إثباته في

---

(١) كتاب سيبويه :١/٢٥ .

(٢) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني : ٢/ ٣٦٢ ، تحقيق : محمد علي النّجار ، ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

(٣) دلائل الإعجاز :١١٢ .

القصتين دلّ على مكانه، ومعنى الكلام ينادي عليه»[1]فقرينة السّياق هنا في قولـه «لأن إثباته في القصتين دل على مكانه» أما السّياق العام نفسه فيتمثل في قوله «ومعنى الكلام ينادي عليه» إذ إن كل حذف رهن بأن يفهم معنى الكلام دون لبس.

وقد ذكر النّحاة والمفسرون كثيراً من ألوان الحذف في القرآن، وتجاوز بعضهم فعدد محذوفات وقدر تقديرات يأباها الذوق والمعنى، وكتب النّحو والتفاسير الـتي اهتمـت بالجانب النّحوي مليئة بذلك[2]ولكن الزّمخشري كان متوسطاً في تقـدير الحـذف، إذ يذكر من النّكات النّحوية في الحذف ما يعين على فهم المعنى وتدبره.

ومن المواضع التي ذكر فيها الزّمخشري الحذف صراحةً ما يأتي:

أ – حذف المفعول به:

قال عبد القاهر في بلاغة حذف المفعول:«اعلم أن أغراض النّاس تختلـف في ذكـر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبـات المعـاني الـتي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين ... ومثال ذلك قول النّاس: فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع ... والمعنى في جميع ذلك إثبات المعنى في

(١) الكشاف : ٢/ ٤٢٠ ، وهو يريد الآيتين : ٢٨ ، ٦٣ .

(٢) فصل ابن هشام القول في الحذف وشروطه وأنواعه في مغني اللبيب : ٢/ ٢٣٩ وما بعدها ، ط دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م .

نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد ...»[1].

ويبين عبد القاهر بعض جماليات حذف المفعول في بيت البحتري:

كم ذدتَ عني من تحامُل حادثٍ وسَوْرةِ أيامٍ حززْنَ إلى العظمِ

قال:«الأصل لا محالة: حززن اللحم إلى العظم، إلا أن في مجيئه به محذوفاً وإسقاطه له من النّطق وتركه في الضّمير مزية عجيبة وفائدة جليلة، وذاك أن من حذق الشّاعر أن يوقع المعنى في نفس السّامع إيقاعاً يمنعه به من أن يتوهمَ في بدء الأمر شيئاً غير المراد ثم ينصرف إلى المراد، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال: وسورة أيام حزن اللحم إلى العظم لجاز أن يقع في وهم السّامع إلى أن يجيء إلى قوله: إلى العظم أن هذا الحز كان في بعض اللحم دون كله وأنه قطع ما يلي الجلد و لم ينته إلى ما يلي العظم، فلما كان كذلك ترك ذكر اللحم وأسقطه من اللفظ ليبرئ السّامع من هذا الوهم ويجعله بحيث يقع المعنى منه في أنف الفهم ويتصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يردَّه إلا العظمُ، أفيكون دليلٌ أوضح من هذا وأبين وأجلى في صحة ما ذكرت لك من أنك قد ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والامتناع من أن يبرز اللفظ من الضّمير أحسن للتصوير؟»[2]

---

(١) دلائل الإعجاز : ١١٢.

(٢) دلائل الإعجاز : ١٣٢ ، وقد نقلت النّص على طوله لصعوبة الاجتزاء منه .

ومن مواضع حذف المفعول التي عرض لها الزّمخشري:

١- في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ﴾ (القصص: ٢٣ - ٢٤) قال: «فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله «يسقون» و«تذودان»و«لا نسقي»؟ قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السّقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً؟»[١]

وقد تأثر هنا بكلام عبد القاهر الذي قال في هذه الآيات:«فيها حذف مفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى: وجد عليه أمة من النّاس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما، ثم إنه لا يخفى على كل ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يُترك ذكره - يعني المفعول به - ويؤتى بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يُعلم أنه كان من النّاس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذودٌ... وأنه كان من موسى عليه السّلام من بعد ذلك سقي... فاعرفه تعلم أنك لم تجد

(١) الكشاف : ٣/ ٤٠١ .

لحذف المفعول في هذا النّحو من الرّوعة والحسن ما وجدت إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه»[1].

٢ – في قوله تعالى ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُون ﴾ (البقرة: ٢٢) قال:«ومفعول تعلمون متروك، كأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة، والتوبيخ فيه آكد، أي أنتم العرافون المميزون..»[2]

قلت: كثر في فواصل الآيات القرآنية حذف المفعول به، بل هو أكثر ألوان الحذف الواقعة في الفواصل وبخاصة حين تكون الفاصلة فعلاً مضارعاً مرفوعاً مسنداً إلى واو الجماعة بصيغتي «يفعلون أو تفعلون»حيث يكثر معهما حذف المفعول اكتفاء بدلالة السّياق مع نكتة بلاغية تخص كل موضع على حدة، والفعل يعلمون أو تعلمون – على سبيل المثال – يستعمل فاصلة وغير فاصلة، غير أننا بالمقارنة بين استعماله في الحالتين وجدنا أنه حين لا يقع فاصلة يندر حذف مفعوله، وحين يقع فاصلة يكثر حذف مفعوله، ومن مجيئه غير فاصلة:

- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (البقرة:٢٦).
- ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة ٧٨).

---

(١) دلائل الإعجاز : ١٢٤–١٢٥.

(٢) الكشاف : ١/ ٩٦ .

فالمفعول به مذكور صريحاً في هذه المواضع لأن الفعل لم يقع فاصلة، وقد أحصيت استعمال الصيغتين «تعلمون ويعلمون» في القرآن الكريم فوجدتهما مستعملتين في (١٤٩) موضعاً منها (٢٩) في غير الفاصلة والبقية وقعت فواصل، وفي المواضع التي وقع فيها الفعل في وسط الآية ذكر المفعول فيها صريحاً إلا في خمسة منها حذف مفعولها، أما أكثرها في الفاصلة فمفعولها محذوف، فالغالب إذاً ذكر المفعول حين يكون الفعل غير فاصلة، وحذفه حين يكون فاصلة، وذلك لاحتواء هذه الصيغة على المد والترنم بالنون، وهو الغالب على فواصل القرآن[1]

٣ – في قوله تعالى ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُون ﴾(البقرة: ١٧) قال:«والمفعول السّاقط من «لا يبصرون» من قبيل المتروك المطّرح الذي لا يُلتفت إلى إخطاره بالبال، لا من قبيل المقدر المنوي، كأن الفعل غير متعد أصلاً..»[2]

قلت: هذه النّكتة في حذف المفعول تحدث عنها عبد القاهر كثيراً في الدلائل بما محصّله أن الغرض المسوق له الفعل ليس التّعدية إلى مفاعيل يقع عليها فعل الفاعل، بل القصد إثبات الفعل لذاته دون إشعار بوجود مفاعيل ولذلك دلالات بلاغية مناسبة لكل سياق كما ورد في الآيات المتقدمة، وفي الآية المذكورة ينساق القصد إلى عدم حدوث الإبصار في ذاته لا عدم وجود مُبصَرَات يقع عليها البصر، وهو أبلغ وأوقع في النّفس.

(١) انظر : الفواصل القرآنية – دراسة بلاغية : ١٢٦.

(٢) الكشاف : ١/ ٧٥ .

ب – حذف جواب الشّرط:

حدد النّحاة لأسلوب الشّرط من واقع الاستقراء اللغوي ثلاثة أركان: الاسم أو الحرف الذي يفيد الشّرط وفعل الشّرط وجوابه، ولكن بعض الأساليب العربية الفصيحة ورد فيها أسلوب الشّرط على غير هذا التّرتيب، إذ فيها حذف فعل الشّرط أو جوابه، ومن ثم قدّر النّحاة ذلك المحذوف ليتم التّصور المنطقي للقضية الشّرطية.

لقد ورد في القرآن وفي كلام العرب حذف جواب الشّرط، أو شرط بغير جواب إذا شئنا الدقة في التّعبير، مما دعا النّحاة دائماً إلى تقدير حذف الجواب لدلالة السّياق عليه، وقد كان أجدر بهم إذ كثرت هذه الصورة في كلام العرب وفي القرآن أفصح الكلام، أن يعدوا أسلوب الشّرط من هذا النّوع قسماً قائماً برأسه كما فعل أبو علي الفارسي حين عد تقدم المفعول به قسماً قائماً برأسه كتقدم الفاعل[1] ولكن التّصور المنطقي لأسلوب الشّرط الذي أخذ النّحاة به لم يساعدهم على تصور شرط بغير جواب أبداً فإذا ورد الأسلوب كذلك فتحوا الباب واسعاً للتقدير والتأويل وادعاء الحذف ... إلخ.

ومن أمثلة هذا الشّرط من القرن الكريم:

(١) انظر : الخصائص : ١ / ٢٩٦ .

١- ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (الرعد: ٣١).

٢- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون ﴾ (يس: ٤٥)

يقول الدكتور عفت الشّرقاوي عن موقف النّحاة من أسلوب الشّرط هذا: «إن هذه الأساليب التي تبدو لهم بسبب تصوراتهم النّمطية شرطية، لا يمكن أن تخضع لقياسهم في ذلك؛ لأنها في حقيقة الأمر ليست شروطاً محذوفة الجواب كما يظنون، وإنما هي باب آخر من صور التّعبير في العربية لا يجري على نمط أساليب الشّرط المألوفة، هي من باب ثالث لا تنتهي آفاقه البلاغية عند حد؛ لأنها تتجدد بتجدد المعاني والسياق ... وبما أنه جنس ثالث من صيغ التّعبير؛ فإنه لا يقاس على هذا ولا ذاك، سعياً وراء صب كل ما نقرأ من صيغ التّعبير المتجددة بتجدد البلغاء في قوالب نحوية مكررة»[(١)]

إن أسلوب الشّرط بغير جواب في الآيات السّابقة - وغيرها كثير- يفتح أمام النّفس والعقل آفاقاً رحبة من التّصورات في حقيقة الجواب الملائم لكل شرط منها، فترك الجواب مقصود لذاته ليدفع القارئ والسامع إلى التّدبر المأمور به لآي القرآن الكريم، ولكن ذلك لا يمنع من تقدير جواب تقريبي لمن لا يملك الحاسة اللغوية التي تمكنه من ذلك، وهو ما فعله الزّمخشري وغيره من المفسرين والمعربين، قال ابن هشام: «ويجوز حذف الجواب في غير ذلك - أي في غير مواضع الوجوب - نحو ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ

(١) بلاغة العطف في القرآن الكريم : عفت الشرقاوي : ٧٥ ، ط دار النّهضة العربية- بيروت ١٩٨١ م .

تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ (الأنعام:٣٥) أي فافعل، و﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ (الرعد:٣١) أي لما آمنوا به بدليل ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ (الرعد:٣٠) والنحويون يقدرون: لكان هذا القرآن، وما قدرته أظهر..»[1].

ومن ذلك في الكشاف:

١ – حذف جواب إنْ:

في قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ (يونس:٤٦) قال الزّمخشري:«فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف، كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة»[2]

٢ – حذف جواب لو:

في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُون ﴾ (التوبة: ٥٩) قال:«جواب لو محذوف تقديره: ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم، والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرّسول من الغنيمة

(١) مغني اللبيب : ٢ / ٢٧٢ .

(٢) الكشاف : ٢/ ٣٥٠ .

وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم، وقالوا: كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا، سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم..»[1]

٣ – حذف جواب لما:

إذا سبقت لما المضارعَ فهي نافية جازمة كقولك في يوم غيم: انتصف النّهار ولما تظهرِ الشّمسُ، ولكن اختلف النّحاة فيها إذا وقع بعدها الماضي فعدها بعضهم شرطية وعدها آخرون ظرفية زمانية بمعنى حين، قال ابن هشام:«الثاني من أوجه لما أن تختص بالماضي فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو: لما جاءني أكرمته، ويقال فيها: حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وزعم ابنُ السّراج وتبعه الفارسي وتبعهما ابن جني وتبعهم جماعة أنها ظرف بمعنى حين وقال ابن مالك: بمعنى إذْ، وهو حسن؛ لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة»[2].

والزمخشري مع الذين عدوها شرطية، وفي قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ (الصافات: ١٠٣– ١٠٥) قال:«فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا

(١) الكشاف : ٢/ ٢٨٢ .

(٢) مغني اللبيب : ١ / ٢٤٣ .

إبراهيم قد صدقت الرّؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما الله وشكرهما على ما أنعم به عليهما»[1]

د – حذف المنعوت[2]:

تتحول بعض النّعوت بمرور الزّمن وكثرة الاستعمال إلى القيام بدور المنعوت نفسه، ولهذا يسهل حذفه طالما فهم من السّياق، وهي ظاهرة شائعة في العربية ولها شواهد كثيرة في القرآن الكريم، وقد أشار سيبويه إلى شيء من ذلك بقوله:«وربما جرت الصفة في كلامهم مجرى الاسم ... فمن ذاك الأبرقُ والأبطحُ وأشباههما»[3]وقال العكبري في إعراب قوله تعالى ﴿ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ (المائدة:٣) قال: «النّطيحة بمعنى المنطوحة، ودخلت الهاء لأنها لم تذكر معها الموصوفة فصارت كالاسم، فإن قلت: شاة نطيح، لم تدخل الهاء»[4]وفيه شاهد على أن الصفة تحل محل الموصوف بمرور الزّمان وكثرة الاستعمال.

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(الإسراء:٩) قال الزّمخشري:«للتي هي أقوم: للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها، أو للملة أو للطريقة،

---

(١) الكشاف : ٤/ ٥٥ .

(٢) انظر لصاحب هذا البحث : التّركيب النّعتي في العربية – دراسة في القرآن والشعر، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة ع ٢٧ ، أغسطس ٢٠٠٠م .

(٣) كتاب سيبويه :٢٢٨/١ .

(٤) إملاء ما منّ به الرّحمن للعكبري : ٢١٣ ، دار الفكر ، لبنان ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م .

وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحــذف؛ لمــا في إبهــام الموصوف بحذفه من فخامة تُفقد مع إيضاحــه»[1]

هــ – حذف الجار والمجرور:

١ – في قوله ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُون ﴾ (الزّمر: ٣٩) قال:«فإن قلت: حق الكلام: فإني عامل على مكــانتي، فلــمَ حــذف؟ قلــت: للاختصار، ولما فيه من زيادة الوعيد، والإيذان بأن حاله لا تقف، وتزداد كل يوم قــوة وشدة، لأن الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله»[2]

٢– في قوله ﴿ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ قال:«فإن قلت: لم أطلقت الاستعانة؟ قلت: ليتنــاول كل مستعان فيه، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة»[3]وهذا على تقدير تعدي الفعل نستعين بفي أو على.

***

٣– في دلالة الحركة الإعرابية على المعنى:

(١) الكشاف : ٢/ ٦٥١ .

(٢) نفسه : ٤/ ١٣٠ .

(٣) نفسه : ١/ ١٥ .

ترتبط دلالة اللفظ والجملة بالإعراب ارتباطاً وثيقاً، حيث تؤدي حالة الرّفع مثلاً في لفظ ما إلى تغير دلالة التّركيب عنه إذا جاء بالجر أو النّصب، وكذلك يرتبط تركيب الجملة وبناؤها الداخلي بدلالتها ارتباطاً وثيقاً.

وقد أصّل سيبويه رحمة الله قضية ربط الإعراب بالدلالة في كتابه، وأكدها تأكيداً في مواضع كثيرة منه، إلا أنه لم يذهب بها إلى المدى الذي ذهبه من بعد عبد القاهر والزمخشري، وصنيعه في كتابه يشهد لما نقول، فهو ما يكاد يذكر النّصب في لفظ ما حتى يجيز فيه الرّفع – على سبيل المثال – بناء على مرويات العرب الثقات، أو على أقوال شيوخه، أو على تقديراته العقلية وحسّه اللغوي، ومع كل تقدير يتغير المعنى.

والمتحدث يستطيع أن يبني التّركيب اللغوي وفق حالته النّفسية والشعورية وهو يختار من صور القول ما يلائم حالته، فيقدم أو يؤخر أو يحذف.. وكل ذلك خبرة بالنحو وما يتيحه من إمكانات كثيرة لتنظيم فن القول.

ثمة تلازم بين المعنى والإعراب، وربما يؤدي تغيير الحركة الإعرابية إلى فساد المعنى، كما في المسألة المشهورة عند النّحاة في قوله ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة: ٣) فمن قرأ بجر«رسول» متعمداً كفر بالله تعالى لأنه يعطف اللفظ على المشركين، فبقي للفظ أن يرفع – كما هو في المصحف – على تقدير خبر له، ويجوز نصبه على العطف على لفظ الجلالة[١]

(١) قال القرطبي :" ورسولُه : عطف على الموضع ، وإن شئت على المضمر المرفوع في بريء ، كلاهما حسن لأنه =

ومن ربط الدلالة بالإعراب عند سيبويه نورد الشّاهدين الآتيين:

١ - قول امرئ القيس:

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني و لم أطلبْ قليلٌ من المال

قال سيبويه:«فإنما رفع - أي لفظ قليل - لأنه لم يجعل القليل مطلوباً، وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً، ولو لم يرد ذلك ونصب لفسد المعنى»[1] فقليل هنا فاعل كفى، ولو جعله مفعولاً لأطلب لفسد المعنى.

٢- وفرق سيبويه بين الجملتين «هذا الرّجلُ منطلقٌ، و: هذا الرّجلُ منطلقاً، بقوله:«فأما الرّفع فقولك: هذا الرّجل منطلق، فالرجل صفة لهذا، وهما بمترلة اسم واحد، كأنك قلت: هذا منطلق ... أما النّصب فقولك: هذا الرّجل منطلقاً، جعلت الرّجل مبنياً على هذا وجعلت الخبر حالاً له قد صار فيها ... وإنما يريد في هذا الموضع

=

قد طال الكلام ، وإن شئت على الابتداء والخبر محذوف التّقدير : ورسوله بريء منهم ، ومن قرأ ورسولَه بالنصب - وهو الحسن وغيره - عطفه على اسم الله عز وجل على اللفظ " انظر : الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي : ٨ / ٧٠-٧١ ، ط دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

(١) الكتاب : ١ / ٧٩.

أن يذكّر المخاطب برجل قد عرفه قبل ذلك، وهو في الرّفع لا يريد أن يذكره بأحد وإنما أشار فقال: هذا منطلق»[1]والشاهد في هذا كله ربط الإعراب بالدلالة.

ومن ذلك في الكشاف:

١- في قوله تعالى في الفاتحة ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ قال الزّمخشري:«والعدل بها عن النّصب إلى الرّفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، ومنه قوله تعالى ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُون ﴾ (الذاريات: ٢٥) رفع السّلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السّلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم، لأن الرّفع دال على معنى ثبات السّلام لهم دون تجدده وحدوثه»[2]وقال العكبري: «الجمهور على رفع الحمد بالابتداء.. ويقرأ بالنصب على أنه مصدر فعل محذوف، أي أحمدُ الحمدَ، والرفع أجود لأن فيه عموماً في المعنى»[3].

٢- في قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين ﴾ وفي قوله ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا ﴾(النحل: ٢٤/٣٠) قال في:«قالوا أساطيرُ الأولين – قالوا خيراً» خيراً: أنزل خيراً، فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟

(١) نفسه :٨٦/٢ – ٨٧ والرجل في الجملة الأولى بدل من هذا ومنطلق خبر ، وسماه صفة لأن الخبر في الأصل وصف للمبتدأ ، والرجل في الجملة الثانية خبر ومنطلقاً حال.

(٢) الكشاف : ٩/١.

(٣) إملاء ما منّ به الرّحمن للعكبري : ٥ .

قلت: فصلاً بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، يعني أن هؤلاء لما أسلموا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السّؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا: خيراً، أي أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السّؤال فقالوا: هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء»[1]

٣- في قوله تعالى ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (الكهف:٥) قال:«قرئ «كبرت كلمة» بالنصب على التّمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التّعجب كأنه قيل: ما أكبرها كلمة»[2]

٤- في قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ (الحج:٦٣) قال:«فإن قلت: فما له رُفع ولم يُنصب - أي الفعل تصبح - جواباً للاستفهام؟ قلت: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض، لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر؟ إن نصبته فأنت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطَه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر، وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير

---

(١) الكشاف :٢/٦٠٣.

(٢) الكشاف :٢/ ٧٠٣ ، وقال القرطبي :" كلمةً : نصبٌ على البيان - يعني التّمييز - أي كبرت تلك الكلمةُ كلمةً ، وقرأ الحسنومجاهد يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق كلمةٌ بالرفع ، أي عظُمت كلمةٌ ، يعني قولهم : اتخذ الله ولداً " انظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٣٠٧ .

أهله»[1]قلت: لو جاز النّصب هنا لكان على فاء السّببية التي تـدخل علـى المـضارع فتنصبه بأن مضمرة.. ولكن المعنى في النّصب غير المعنى في الرّفع كما قال.

***

٤- من مباحث الفعل:

اتفق النّحاة على تقسيم ألفاظ العربية إلى اسم وفعل وحرف، ثم جعلوا لكل من هذه الأقسام مباحث خاصة به، وفي مباحث الفعل قسموه من حيـث الـزّمن إلى مـاض ومضارع، وأوقعوا الأمر ضمن مفهوم المضارع وجعلوا المـضارع المـسبوق بالـسين وسوف مخصصاً للمستقبل.

وحركة الفعل في العربية واسعة متنوعة، إذ يستعمل عادة للتعبير عن الحركة والحدث، ولهذا فإن الجمل الفعلية في اللغة العربية أكثر من الجمل الاسمية، ودخـول التّراكيـب الفعلية ضمن إطار الجملة الاسمية أكثر من دخول الجملة الاسمية ضمن التّركيب الفعلي، فإذا قارنا بين النّعت بالجملة الفعلية والنعت بالجملة الاسمية على سبيل المثـال فـسنجد الأول أكثر كثيراً وكذلك الحال الجملة الفعلية..

وقد لفتت بعض استعمالات الفعل في القرآن نظر المفسرين واللغويين، حيث وجدوا أن القرآن أحياناً يعبر عن المستقبل بلفظ الماضي وعكس ذلك وأنـه يـستعمل بعـض

(١) الكشاف: ٣ / ١٦٨.

الأفعال استعمالاً خاصاً، كاستعمال عسى لتحقيق الوعد إذا كان من عند الله، وهي في اللغة للرجاء.. وغير ذلك.

ومن ذلك في الكشاف:

أ – التّعبير بالماضي عن المستقبل:

وأكثر ما يستعمل هذا في سياق الحديث عن مشاهد القيامة أو أحوال أهل النّار أو الجنة في القرآن الكريم، قال الزّركشي:«ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه»[1]وهو كثير ملاحَظ، لكنه لا يقتصر على الوعيد كما توهم عبارة الزّركشي، بل منه للوعد ومنه للوعيد، ونذكر منه ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (الشعراء: ٩٠- ٩٢) ومنه ﴿وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون ﴾ (الأعراف:٤٣).

ومنه في الكشاف:

١ - في قوله ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُود ﴾ (هود: ٩٨) قال:«فإن قلت: هلا قيل: يقدم قومه فيوردهم؟ و لم جيء بلفظ الماضي؟ قلت:

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٣ / ٣٧٢ .

لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النّار لا محالة»[1]

٢ – في قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ (الحجر: ٢) قال:«فإن قلت: لم دخلت – أي ربما – على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟ قلت: لأن المترقَّب في إخبار الله تعالى بمترلة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه قيل: ربما ودّ»[2].

قلت: أوردت هذا الشّاهد هنا لأنه عد الفعل المضارع بمترلة الماضي في سياق المستقبل، ولا أعرف من أين أتى إباءُ الزّمخشري وبعض النّحاة دخولَ رُبّ على المضارع وتخصيصها بالماضي، وهذا الشّاهد القرآني ينادي عليهم بخلاف ذلك، وقد ورد ذلك في أكثر من موضع في أمثلة سيبويه؟ قال سيبويه:«جعلوا رُبَّ مع ما بمترلة كلمة واحدة، وهيأوها ليُذكرَ بعدها الفعلُ، لأنهم لم يكن لهم سبيلٌ إلى» ربَّ يقولُ «ولا إلى «قلَّ يقولُ» فألحقوهما ما وأخلصوهما للفعل»[3]وقال:«وزعم يونسُ أنهم يقولون: ربما تقولَنّ ذاك، وكثُرَ ما تقولَنّ ذاك..»[4].

(١) الكشاف : ٢/ ٤٢٦ .

(٢) نفسه : ٢/ ٥٦٩ .

(٣) كتاب سيبويه : ٣/ ١١٥ .

(٤) نفسه : ٣/ ٥١٨ .

ولهذا نخالف الزّمخشري في تحليله المتقدم، إذ أرى أن التّعبير بالمضارع هنا مقصود لبيان تجدد ذلك الود من الكفار يوم القيامة بأن يكونوا مسلمين، خاصةً مع تطاول العذاب عليهم، ورؤيتهم لنعيم أهل الجنة الدائم غير المجذوذ، فيصيبهم من الحسرة ما يصيبهم، ويتجدد منهم الود والأماني التي لا تتحقق، وهو لون آخر من العذاب.

٣ – في قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح:١) قال: «وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى»[١] قلت: قد كان ذلك عقب صلح الحديبية، حين أبرم المسلمون صلحاً مع أهل مكة مُنعوا بموجبه من دخول مكة ذلك العام، فحزن أكثرهم لذلك واغتموا.. وفي طريق العودة نزلت سورة الفتح، وكانت هذه البشارة، ولذا جاء الفعل بصيغة الماضي لتوكيد البشارة وتحققها، وقد كان ذلك بحمد الله[٢].

ب – في التّعبير بالمضارع:

(١) الكشاف : ٤/ ٣٣٢ .

(٢) جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ قال : الحديبية .. " طرف من حديث رواه البخاري برقم : ٤١٢٧ ، صحيح البخاري ، طبعة دار السّلام الدولية بالرياض " مجلد الكتب السّتة " ط٣ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

التعبير بالمضارع في بعض السّياقات يدل على التّجدد والمزاولة، أو على استحــضار صورة حال ماضية يراد لها أن تكون حاضرة للتذكير بها والتنبيه عليها، ومن ذلك:

١ – في قوله تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقــاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُون ﴾ (البقرة:٨٧) قال:«فإن قلت: هلا قيل: وفريقاً قتلتم؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية، لأن الأمر فظيع فأريــد استحــضاره في النّفــوس وتصويره في القلوب، وأن يراد «وفريقاً تقتلونهم بعد» لأنكم تحومون حول قتل محمــد ﷺ لولا أني أعصمه منكم»[1]

٢ – في قوله تعالى ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُون ﴾(المائدة:٧٠) قال: «فإن قلــت: لم جيء بأحد الفعلين ماضياً وبالآخر مضارعاً؟ قلت: جيء بيقتلون على حكاية الحــال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشّنيعة للتعجب منها»[2]

ولا نغفل هنا أمر الفاصلة النّونية كذلك، إذ إن التّعــبير بالمــضارع المــسند إلى واو الجماعة مرفوعاً بثبوت النّون يحقق الإيقاع الصوتي في الفاصلة.

٣ – في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَــدٍ مَّيِّــتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (فاطر:٩) قال:«فإن قلت: لم جاء «فتثير» على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثــارة الرّيــاح الــسّحاب،

(١) الكشاف : ١/ ١٦٢ .

(٢) نفسه : ١/ ٦٦٣ .

وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الرّبانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية، بحال تُستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك»[١]

ج - الخبر يفيد الأمر:

تأتي بعض المأمورات في القرآن في صور غير صورة فعل الأمر كالماضي في ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (البقرة:١٨٣) والمضارع في ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ (البقرة:٢٢٨) قال الزّمخشري:«فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام: وليتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يُتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله، وأُخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة»[٢]

د – استعمال عسى للتحقيق:

الفعل عسى من الأفعال الجامدة النّاقصة، وهو موضوع في اللغة للرجاء والإشفاق[٣]ولكن المفسرين لاحظوا أن إسناد هذا الفعل إلى الله عز وجل في القرآن يدل عادة على تحقق الأمر الصادر منه، وهو هنا خبر عسى، ومنه:

---

(١) نفسه : ٣/ ٦٠١ .

(٢) نفسه : ١/ ٢٧٠ .

(٣) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي : ٤٦٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت

=

١ – في قوله تعالى ﴿ فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾(النساء:٩٩) قال الزّمخشري:«فإن قلت: لم قيل «عسى الله أن يعفو عنهم» بكلمة الإطماع؟ قلت: للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه، حتى إن المضطر البينَ الاضطرار من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفو عني، فكيف بغيره؟»[1]وقال أبو حيان:«عسى كلمة إطماع وترجية، وأتى بها وإن كانت من الله واجبة دلالة على أن ترك الهجرة أمر صعب لا فسحة فيه، حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفوَ عني، وقيل: معنى ذلك أن يعفو عنه في المستقبل»[2].

قلت: الكلام واقع في سياق الحديث عن المعذورين في عدم الهجرة لعجزهم، وهم المستضعفون من الرّجال والنساء والولدان، فهؤلاء قيل في حقهم «عسى الله أن يعفو عنهم» وغيرهم ممن يستطيع الهجرة ولم يهاجر حين يسمع ذلك لا شك يعرف أنه لا عذر له.

٢ – في قوله ﴿ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُون﴾ (النمل: ٧٢) قال:«وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجدّه

=

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

(١) الكشاف : ١/ ٥٥٦ .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان : ٣ / ٣٣٦، ط مكتبة ومطابع النّصر الحديثة ، الرّياض د . ت ، ونلاحظ تأثر أبي حيان الواضح بكلام الزمخشري قبله .

وما لا مجال للشك بعده، وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام، لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم، وأن الرّمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم، فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده»[1]

وهاهنا نكتة لغوية بديعة، وهي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين على مذاهب العرب في استعمال لغتهم والتصرف فيها، فهو يخاطب النّاس بما يألفون من كلمات في تراكيب إسنادية جديدة تقوم بها الدلالة، ولغته بهذه الصورة إحدى صور إعجازه التي لا تنقضي، فهي صالحة للفهم في كل زمان، مناسبة بطبيعتها لتطور الحياة ونظمها..

هـ — في تعدية الفعل بحرف الجر:

١ — في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف: ٢٨) قال:«وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه وعلت.. إذا اقتحمته و لم تعلق به، فإن قلت: أي غرض في هذا التّضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عنهم عيناك؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم»[2]

(١) الكشاف : ٣/ ٣٨١ .

(٢) نفسه : ٢/ ٧١٧ .

٢ — في قوله تعالى ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ (مريم: ٦٥) قال: «فإن قلت: هلا عُدّي«اصطبر» بعلى التي هي صلته كقوله تعالى «واصطبر عليها»؟ قلت: لأن العبادة جُعلت بمترلة القِرْن في قولك للمحارب: اصبر لقرنك؟ أي اثبت له فيما يورد عليك من شدّاته، أُريدَ أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاقّ فاثبت لها ولا تهن، ولا يضق صدرُك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليطَ، وعن احتباس الوحي عليك مدةً، وشماتة المشركين بك»[١]

و — في بناء الفعل لما لم يسمَّ فاعلُه:

يبنى الفعل للمعلوم إذا ذكر فاعله في الكلام ظاهراً أو مضمراً، ولكن في بعض السّياقات يبنى الفعل لما لم يسمَّ فاعلُه، أي بدون ذكر الفاعل[٢] ولذلك أسباب عديدة منها الإبهام لتفخيم أمر الفاعل أو للجهل به أو للخوف من ذكره صريحاً.. وهذا الأسلوب كثير في القرآن، لكنا لاحظنا كثرته في الأخبار عن اليوم الآخر في القرآن الكريم كما في المواضع الآتية:

١- ﴿ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون ﴾ (الأعراف: ٤٣).

---

(١) نفسه : ٣/ ٣٠ .

(٢) يسميه عامة النّحاة : المبني للمجهول ، ولكن إذا كان الفاعل هو الله عز وجل فلا يليق إطلاق ذلك عليه تأدباً معه سبحانه .

٢- ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِين. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِين. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُون﴾ (الشّعراء: ٩٠-٩٢).

٣-﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ (القصص: ٦٤).

ومن تدبّر الآيات السّابقة في أحداث الآخرة نستطيع أن نقول: إن بناء الفعل لما لم يسمَّ فاعلُه يشعر بطلاقة القدرة الإلهية وأن الأمور هنالك تتم بالتسخير الكامل المطلق لله وحده، إذ هو قد أعطى الإنسان القدرة على الاختيار والعمل في الحياة الدنيا، أما هنالك فالأمر مختلف.

وفي قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ (هود: ٤٤) قال الزّمخشري: «ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأن فاعلها فاعل واحد لا يُشارك في أفعاله»[١]

وقد اختصر الزّمخشري تحليل عبد القاهر لهذه الآية في الدلائل، ولكنه أشار في الموضع السّابق ضمناً إلى إعجابه به فقال: «ولما ذكرناه من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم».

(١) الكشاف : ٢/ ٣٩٨ .

وقال عبد القاهر فيها:«ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أُمرت، ثم في أن كان النّداء بيا دون أي، نحو «يا أيتها الأرض» ثم إضافة المـــاء إلى الكـــاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن أُتبع نداءُ الأرض وأمْرُها بما هو من شأنها نداءَ السّماء وأمرَهـــا كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: وغيض الماء، فجاء الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدالة على أنه لم يَغِضْ إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى «وقضي الأمر» ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو «واستوت على الجوديّ» ثم إضمار الـــسّفينة قبـــل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشّأن، ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيـــل في الفاتحة»[1].

***

٥- التّعبير الاسمي والفعلي :

للاسم استعمالاته وكذلك الفعل، إذ لا شك أن واضع اللغة فرق بينهما في الوضـــع والاستعمال، وقد لاحظ اللغويون أن الاسم يدل على المعنى مجرداً مـــن الزّمـــان، وأن الفعل يدل على المعنى وزمان وقوع الحدث، ولاحظوا تبعاً لذلك أن التّعبير الاسمي يدل على الثبات غالباً، وأن التّعبير الفعلي يدل على التّجدد والمزاولة، وقد وجـــدوا لـــذلك شواهد من لغة العرب ومن القرآن الكريم، قال عبد القاهر:«إن موضوع الاسم على أن

(١) دلائل الإعجاز : ٣٧ .

يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضـــوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء»[1].

وقد مثل لذلك بشواهد عديدة، ففي التّعبير الاسمي مثل بقول الشّاعر:

لا يألفُ الدرهمُ المضروبُ صُرَّتَنا لكنْ يمرُّ عليها وهو منطـــلقُ

وقوله تعالى ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (الكهف: ١٨).

فاسما الفاعل «منطلق وباسط» دالان على الثبات والاتصاف بذلك مدة طويلة، ومثـــل للتعبير الفعلي بقول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضـــوء نار في يَفَاعٍ تَحَرَّقُ

تُشبُّ لمقـــرورين يصطليـــاها وبات على النّار النّدى والمحلّقُ

قال عبد القاهر: «معلوم أنه لو قيل: إلى ضوء نار متحرقة، لنبا عنـــه الطّبـــع وأنكرتـــه النّفس»[2].

وعدّ الزّمخشري من ذلك:

---

(١) نفسه : ١٣٣ .

(٢) نفسه: ١٣٥ ، اليفاع : المشرف من الأرض والجبال ، وتحرّق أصله تتحرق حذف إحدى التّائين تخفيفاً ، تُشبّ : تُشعل ، والمقرور : الذي أصابه القُرّ وهو البرد الشديد والندى : الكرم ، والمحلّق : لقب الممدوح ، وهو رجل كريم عضته فرسه فأثرت فيه مثل الحلقة ، فسمي المحلّق .

١ – في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ﴾(هود: ١٠٣) قال: ((فإن قلت: لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه لابد من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع النّاس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى النّاس، وأنهم لا ينفكون منه..))(١)

٢– في قوله تعالى ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ﴾ (المائدة:٢٨) قال:((فإن قلت: لـمَ جاء الشّرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل ((ما أنا بباسط))؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشّنيع، ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي))(٢)

٣– في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ ﴾ (البقرة:١٠٣) قال:((فإن قلت: كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو؟ قلت: لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها))(٣)

٤– وفي قوله تعالى ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين ﴾ (الشعراء:٢٩) قال:((فإن قلت: ألم يكن((لأسجننّك)) أخصرَ من ((لأجعلنك من

---

(١) الكشاف : ٢/ ٤٢٧ .

(٢) نفسه : ٦٢٥/١ ، وقال أحمد بن المنير الإسكندري في الانتصاف :" إنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من الفاعل لا غير ، وأما اتصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل " هامش الكشاف : ٦٢٥/١.

(٣) الكشاف :١٧٤/١ .

المسجونين» ومؤدياً مؤداه؟ قلت: أما أخصر فنعم، وأما مؤداه فلا؛ لأن معناه: لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل»[١]وقال أحمد بن المنير:«كثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول بالتعبير بالفعل إلى التّعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع.. والسر في ذلك – والله أعلم – أن التّعبير بالفعل إنما يُفهم وقوعه خاصة، أما التّعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب له، وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السّمات الرّديئة..»[٢]

***

٦- الإفراد والتثنية والجمع:

إن المعتاد في اللغة أن يعبر عن المفرد والمثنى والجمع بألفاظ خاصة لكل منها، هذا في الأسلوب العام المعتاد عند كثير من النّاس، ولكن القرآن له لغته وأسلوبه الخاص المستمد كذلك من ألفاظ العرب وطرائقهم في الكلام، ولكنه أبدع في العربية إبداعاً خاصاً لا نظير له، فهو حين يستعمل الأعداد في العقائد كالتوحيد وفي الحدود

---

(١) الكشاف : ٣/ ٣٠٩ .

(٢) الانتصاف ، على هامش الكشاف : ٣ /٣٣٠ .

والكفارات والعبادات.. يحددها بدقة كاملة، ولكنه مع ذلك في سياقات خاصة يعبر عن الواحد بالجمع وعكسه، وعن الاثنين بالجمع، ويضع جمع القلة مكان جمع الكثرة أو ضده... كل ذلك لمعان سياقية ودواع بلاغية وجمالية خاصة تدرك بالتدبر وإعمال الفكر والتدبر في لغة القرآن الخالدة.

وهذه أمثلة فحسب من ذلك، فقد استعمل القرآن ما يكون للمفرد عادةً مكان ما موضعه التّثنية في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ (طه: ٤٩) وقوله ﴿ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه: ١١٧) قال الزّمخشري:«وإنما أسند إلى آدم وحدَه فعل الشّقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرّجل وهو قيّم أهله وأميرهم شقاءَهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتَهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة»[1].

واستعمل القرآن المثنى مكان المفرد في ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان ﴾ (الرحمن: ٤٦) جعله الزّركشي من باب «تثنية ما أصله أن يفرد» ونقل عن الفراء أنه من باب «مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها، واستعمل الجمع مكان المثنى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

(١) الكشاف : ٣ / ٩٢ .

طَائِعِين﴾ (فصلت ١١) واستعمل المفرد محل الجمع ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(الفرقان: ٧٤)[1]

ومن هذا اللون في الكشاف:

١- في قوله تعالى ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨) قال:((فإن قلت: لـمَ جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟ قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية، ألا ترى إلى قوله تعالى ((بأنفسهن)) وما هي إلا نفوس كثيرة، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قُرْء من الأقراء، فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل))[2]

قلت: هذا التّساؤل من الزّمخشري مبعثه أن النّحاة حين وضعوا القواعد جعلوها على الكثير الغالب من كلام العرب، ولذلك بقيت شواهد فصيحة خارج إطار قواعدهم لأنها قليلة الاستعمال مع فصاحتها، ولا مجال لرد هذه الشّواهد في التّقعيد النّحوي، فمنها شواهد من القرآن والحديث وفصحاء العرب وبلغائهم، والشاهد في الآية من هذا النّوع، إذ جعل النّحاة المفرد على وزن فُعْل المجموع على أفعال من جموع القلة التي لا

(١) انظر : الفواصل القرآنية – مبحث : الإحلال في الفواصل : ١٠٨ وما بعدها وكلام الزركشي في البرهان في علوم القرآن : ١/٩٥ ، دار الفكر – لبنان ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

(٢) الكشاف :١/٢٧٢.

تجاوز العشرة، ومع ذلك ترك القرآن هذا الاستعمال مع الثلاثة ووضع مكانــه جمــع الكثرة «قروء» وبرره الزّمخشري بكثرة استعمال جمع الكثرة وشيوعه، ومع ذلك نقول: إن هذه القواعد التي وضعوها غير مطلقة ولا ثابتة، فبعض الشّواهد تخالفهــا، ولعــل الأفضل في هذا السّياق أن نعتبر كثرة النّساء وكثرة القروء نفسها في حيــاة النّــساء، فناسبه جمع الكثرة لا القلة، هذا مع خفة لفظ القروء عن الأقراء.

٢- في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَــلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة:٦٤) قال:«فإن قلت: لَمَ ثُنيت اليدُ في قولــه تعــالى «يــداه مبسوطتان» وهي مفردة في «يد الله مغلولة»؟ قلت: ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السّخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السّخيّ بماله مــن نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً، فبني المجاز على ذلك»[1].

٣- في قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّــورَ ﴾ (الأنعام:١) قال:«فإن قلت: لم أفرد النّور؟ قلت: للقصد إلى الجــنس، كقولــه تعــالى ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾(الحاقة:١٧) أو لأن الظّلمات كثيرة لأن ما من جــنس مــن

(١) الكشاف : ١/ ٦٥٦ ، والمجاز في تعبير الزمخشري مسألة تتعلق بمذهب المعتزلة الذين يرون أن اليد لله بمعنى القوة ، لأن إثبات اليد في زعمهم يعني التّجسيم .. ولذا فالاستعمال هنا مجازي عندهم ، أما عند أهل السّنة فاليد حقيقة بلا تكييف أو تجسيم ولكن في إطار (ليس كمثله شيء) .

أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظّلمة، بخلاف النّور فإنه من جنس واحد هو النّار»[1]

٤- في قوله ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ (الأعراف:١٤٨) قال:«فإن قلت: «لم قيل: واتخذ قوم موسى والمتخِذ هو السّامري؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يُنسب الفعل إليهم لأن رجلاً منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم... ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به، فكأنهم أجمعوا عليه، والثاني: أن يُراد: واتخذوه إلهاً وعبدوه»[2]

قلت: القرآن يبني الكلام في الجمع على الغالب أو الأكثر من حال المخاطبين وإن شذ منهم نفر قليل، وذلك كخطابه سبحانه للمسلمين في قبولهم فداء أسارى بدر، ومعلوم أن عمر ونفراً من الصحابة عارضوا ذلك وكما في لومهم على حديث الإفك، ومعلوم أن نفراً منهم أنكره حتى قبل نزول الآيات، وعلى هذا جاء الإخبار عن قوم موسى في هذه الآية، مع أن هارون رفض ذلك منهم رفضاً قاطعاً فنابذوه وكادوا يقتلونه.

(١) الكشاف :٤/٢.

(٢) نفسه :١٥٩/٢.

٥- في قوله تعالى ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء:١٦) قال:«ويجوز أن يوحّد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكماً واحداً، فكأنهما رسول واحد»[١]

قلت: يستعمل لفظ رسول للمثنى كما في الآية، ويستعمل القرآن كذلك لفظ رسل مكان رسول للدلالة على أن المكذبين برسول واحد هم في حكم المكذبين بجميع الرّسل؛ لأنهم إنما أنكروا النّبوة نفسها وجحدوها، قال تعالى ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ﴾ (الفرقان: ٣٧) وإنما أرسل إليهم رسولاً واحداً هو نوح عليه السّلام.

٦- في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (لقمان:٢٧) قال:«فإن قلت: لم قيل «من شجرة» على التّوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أريد تفصيل الشّجر وتقصّيها شجرةً شجرةً، حتى لا يبقى من جنس الشّجر ولا واحدة إلا قد بُريت أقلاماً، فإن قلت: الكلمات جمع قلة، والموضع موضع التّكثير لا التّقليل فهلا قيل: كلم الله؟ قلت: معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار، فكيف بكلمه؟»[٢]

---

(١) الكشاف :٣/٣٠٥.

(٢) الكشاف :٣/٥٠١ .

قلت: لا أدري من أين جعل النّحاة جمع المؤنث السّالم جمع قلة؟ فلعلهم نظروا في قول النّابغة لحسان حين أنشده:

لنا الجَفَنَاتُ الغُرّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا

فقال له النّابغة: ((إنك لشاعرٌ، لولا أنك قللتَ عدد جفانك.. وفي رواية أخرى فقال له: إنك قلت: الجفنات فقلّلتَ العددَ ولو قلت الجفان لكان أكثر...))[1].

وهذا لا يُعول عليه؛ إذْ إن استقراء العربية يوحي بغير ذلك، فكثيراً ما استعمل القرآن لفظ المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.. وذلك كثير غير منحصر في قلة.. وعليه فإن ((كلمات الله)) في الآية ليست جمع قلة، بل هي جمع كثرة، وقد ذكر ابن جني عن أبي علي الفارسي أنه كان ينكر هذه الحكاية عن النّابغة.. قال أبو علي: ((هذا خبر مجهول لا أصل له؛ لأن الله تعالى يقول ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون ﴾ (سبأ:٣٧) ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر))[2]

***

٧- التّوكيد:

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٩ / ٣٨٤ ، ط٢ ، دار الفكر - بيروت .

(٢) المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني : ١/ ١٨٦ تحقيق : علي النّحدي ناصف ، ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

مصطلح التّوكيد من المصطلحات الدائرة في كتب النّحو قديماً وحديثاً، وهو يدخل في كثير من أبواب النّحو، ومع ذلك خصّه النّحاة بدرس خاص به ضمن التّوابع، درسوا فيه التّوكيد اللفظي الذي هو تكرار اللفظ أو الجملة، والتوكيد المعنوي الذي له ألفاظ معلومة بشروط محددة، ولكن التّوكيد كما ذكرت يدخل في أبواب كثيرة من أبواب النّحو كحروف النّصب «إنّ وأنّ» وقد ولام الابتداء وضمير الفصل.. إلخ، وهذا ليس له باب محدد يحصره، بل يُعلم من سياق الكلام.

ومن ذلك في الكشاف:

أ- التّوكيد بالمصدر:

١ - في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل:٨٨) قال: «صنع الله من المصادر المؤكدة، كقوله «وعدَ الله» و«صبغةَ الله» إلا أن مؤكده محذوف... ونحوُ هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان»[1]

(١) الكشاف : ٣/٣٨٧ – ٣٨٨ .

٢ – في قوله ﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) قال:«تسليماً: تأكيد للفعل بمنزلة تكريره، كأنه قيل: وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم»[١]

ب – التّوكيد بضمير الفصل:

يؤتى بضمير الفصل لتوكيد أمر سياقي خاص في الجملة، وهو قصر معنى الخبر على المبتدأ وحده، فهو لون من زيادة اللحمة والربط بين ركني الجملة الاسمية، إذ إن وجوده يؤكد كون ذلك الخبر بعينه مقصوراً على المبتدأ، قال الزّمخشري في المفصل في فائدة ضمير الفصل:«ليؤذنَ من أول أمره بأنه خبرٌ لا نعت، ويفيد ضرباً من التّوكيد»[٢].

ومن ذلك:

١ – في قوله ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِين ﴾ (الأعراف:١١٥) قال:«وقولهم «إما أن نكون نحن الملقين» فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل، وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراءً لشأنهم، وقلة مبالاته بهم، وثقة بما كان بصدده من التّأييد السّماوي، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً»[٣]

(١) نفسه : ١/٥٢٩ .

(٢) المفصل في علم العربية للزمخشري ، مع شرح ابن يعيش عليه : ٣ /١١٠ ، ط عالم الكتب ، بيروت د . ت .

(٣) الكشاف : ٢/ ١٤٠ .

٢ – في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (التّوبة: ١٠٤) قال: «وهو للتخصيص والتأكيد، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التّائبين، وقيل: معنى التّخصيص في «هو» أن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التّوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه»[١]

***

(١) نفسه : ٢/ ٣٠٨ .

الخـــاتمة

ثمة مشكلات عديدة في تدريس النّحو في المدارس والجامعات بعضها يأتي من طبيعـــة النّحو نفسه، وبعضها من طريقة عرضه وتدريسه، فمعلوم أن للنحو درجات كغيره من العلوم، وهي درجات تبدأ من الجملة البسيطة من الفعل والفاعل أو المبتدأ والخـــبر، ثم الفضلات - كما سماها النّحاة - والتوابع.. إلخ، ثم لابد من التّرقي بذلك إلى دراســـة النّص وبيان علاقة التّركيب بالدلالة، وعمليات التّقـــديم والتـــأخير ودلالات الحـــذف والزيادة والتكرار.. إلخ مما يدخل تحت مفهوم «النّحو الجمالي» أو ما سمـــاه البلاغيـــون «النّحو العالي».

ولكن المشكلة عندنا أن الطّالب والمدرّس والمشرف ومؤلفي الكتاب المدرسي ثم أكثر أساتذة الجامعات.. لا يتجاوزون المرحلة الأولى للدرس النّحوي، أعني مرحلة الجملـــة البسيطة وإعرابها والإلحاح على مسألة الضّبط بالشكل وكأنها كل ما في النّحو... ومن ثم يفتقد الطّالب المتعة والإثارة التي قد يثيرها التّساؤل عما وراء التّركيب مـــن دلالـــة وجماليات.

لهذا عقدنا هذه الدراسة لبيان لون خاص من ألوان الدرس النّحوي يتجاوز الـــصبغة التّعليمية والمعيارية إلى مجال التّذوق الجمالي للنص واستكشاف أسراره الجمالية من لغته وسياقه، وهو ما لا يحفل به النّحو التّعليمي عادة، ولذا نطالب بتوجيه أنظار الطّـــلاب والمتعلمين إلى هذا اللون من التّحليل النّحوي، لعلهم يجدون فيه ما يقربهم إلى النّحـــو، والله الموفق.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الأسس الجمالية في النّقد العربي، د/ عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة د.ت.
٣- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ط٢، دار الفكر - بيروت.
٤- إملاء ما مَنّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، دار الفكر - بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٥- الانتصاف من الكشاف، لأحمد بن المنير الإسكندري، مطبوع بهامش الكشاف.
٦- أوضح المسالك، لابن هشام الأنصاري، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٧- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط مكتبة ومطابع النّصر الحديثة، الرّياض د. ت.
٨- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزّركشي، دار الفكر- لبنان ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
٩- بلاغة العطف في القرآن الكريم، د/ عفت الشّرقاوي، ط دار النّهضة العربية — بيروت ١٩٨١م.
١٠- البلاغة تطور وتاريخ، د/ شوقي ضيف، ط ٩، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٥م.
١١- تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، د/ إحسان عباس، ط٢ دار الشّروق عمان، الأردن ١٩٩٢م.
١٢- التّركيب النّعتيّ في العربية - دراسة في القرآن والشعر، د/ السّيد علي خضر مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة ع ٢٧، أغسطس ٢٠٠٠م.
١٣- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، ط دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٤- الجملة في الشّعر العربي، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، ط١ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٥- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، دار الكتب العلمية - بيروت

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

١٦- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النّجار، ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١٧- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، لبنان ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٨- صحيح البخاري، طبعة دار السّلام الدولية بالرياض ((مجلد الكتب السّتة)) ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٩- صحيح مسلم بشرح النّووي، ط الحلبي، القاهرة د. ت.

٢٠- كتاب سيبويه، بتحقيق عبد السّلام هارون، ط٣ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، لمحمود بن عمر الزّمخشري، ط٣ دار الرّيان للتراث، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٢ - الفواصل القرآنية - دراسة بلاغية، د/ السّيد علي خضر، مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٣- المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النّحدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٤- المرايا المقعرة، د/ عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٢٧٢) الكويت، أغسطس ٢٠٠١م.

٢٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، ط دار إحياء التّراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٢٦ - المفصل في علم العربية للزمخشري، مع شرح ابن يعيش عليه، ط عالم الكتب بيروت د. ت.

٢٧- من أسرار اللغة، د/ إبراهيم أنيس، ط ٦ مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٧٨م.

٢٨- منهج الزّمخشري في تفسير القرآن، د/ مصطفى الصاوي الجويني، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م.

٢٩- النّحو والدلالة، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، ط دار الشّروق، القاهرة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٠- النّحو والشعر - قراءة في دلائل الإعجاز، د/ مصطفى ناصف، مجلة فصول (تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب) مج: ١، ع: ٣ أبريل ١٩٨١م.